

ظاهرة جديدة في الأزهر

للأستاذ محمد محمد المدني

بالمُجبر من القول شفاء لم تكن تفتقر إلا عن الحكمة والموعظة
الحسنة !

فاللهم عوناً على هذا الجهاد . أنت مولانا فقم المولى ونعم
النصير !

انتهى العام الدراسي في الأزهر أو كاد . ولسنا ننظر إلى
الأزهر كما ننظر إلى أى معهد من معاهد التعليم فحسب ، وإنما
ننظر إلى الأزهر وينظر المسلمون جميعاً إليه على أنه الحصن الأخير
الذى لم يبق سواه لشريعة الإسلام وثقافة الإسلام ، فيجب أن
نلتفت إليه في كل مناسبة ، ويجب أن نهتم به في كل حركة ،
ويجب أن نتابع أخباره فلا يشغلنا عنها شئ .

وها هو ذا قد أمضى اليوم عاماً من أعوامه الدراسية ، فمن
حق كل مسلم أن يعرض تاريخه في هذا العام ، وأن يحاسبه على
ما قدم أو أخر في شئونه الخاصة والعامة ، ومن الحق على الأزهر
أن يثبت لهذا المرض ، ويصبر على هذا الحساب !

فما هو إذن تاريخ الأزهر في عام ؟

لقد مضت قبل هذا العام أعوام كان الناس يتحدثون فيها
عن أشياء كثيرة : كانوا يتحدثون عن « جماعة كبار العلماء »
وما يرجى من نشاطها للقيام بواجبها . وكانوا يتحدثون عن
« برنامج الإصلاح » الذى اقترح لها . وكانوا يتحدثون عن
الكتب والمناهج الدراسية وما يرجى من إصلاحها وحسن
الانتفاع بها . وكانوا يتحدثون عن المقررات التى يعرضها العام
ولا يقرأ منها إلا القليل . وكانوا يتحدثون عن نظام « المراقبة
العامة » على التعليم العالى ولأى غرض أنشئت . وكانوا يتحدثون
عن الفقه الإسلامى وواجب الأزهر فى وصلة بالحياة العامة وعرضه
عرضاً يوافق روح العصر . وكانوا يتحدثون عن نظام التخصص
وعيوبه التى ضج منها الطلاب وغير الطلاب . وكانوا يتحدثون
عن مجلة الأزهر التى هى لسانه وعنوان ثقافته وأداة الدفاع عنه .
وكانوا يتحدثون عن واجب الأزهر فى الانصال النافع بمراكز
الثقافة وأندية العلم ولجان التشريع . وكانوا يتحدثون عن مكتبة
الأزهر وكنوزها الدفينة التى كاد يأتى عليها البريل بعد أن أتى
عليها النسيان . وكانوا يتحدثون عن رسائل الجماعة الموقرة ، تلك
الرسائل التى تكتب لتختبئ فلا تراها عين ولا تسمع بها أذن !

انتهى العام الدراسي فى الأزهر أو كاد ، وانصرف الطلاب
عن فصولهم إلى المذاكرة والإعداد لرحلتهم المقبلة ، وابتدأ
الأساتذة فترة استجابهم التى ألفوا أن ينعموا بها فى كل عام
إثر الدراسة وبين يدي الامتحان ؛ أما أنا فقد عدت من الجهاد
الأصفر إلى الجهاد الأكبر : عدت من دراسة « علم الأصول »
فى كلية الشريعة بين طلاب على كرام ، أحبهم ويحبوننى ،
وأفهمهم حق الفهم ويفهموننى ، وأبشهم نصحى وإرشادى
فيستمعون إلى نصحى وإرشادى . غابهم العلم فهم عنه باحثون ،
وبنيهم الحق فهم له مخلصون ؛ لم تطرف عيونهم الدنيا ، ولم
تسد مسامعهم الشهوات . رجعت من هذا الجهاد الأصفر ، بل
من هذا الجهاد الحبيب إلى النفس الذى نجد فيه معاصر
الأساتذة لذتنا ، ونشدد بالتعب فيه راحتنا ، إلى جهاد من نوع
آخر قد حفر بالكاره ، وأحاطت به الأهوال والصعاب من كل
جانب : عدت إلى « الرسالة » الفراء أبشها آلامى وآمالى ، وأسجل
على صفحاتها آرائى وأفكارى ، وأعرض بذلك لسخط السخاطين ،
ولوم اللائمين ، وكيد الكائدين

عدت إلى « الرسالة » أخطب على منبرها العالى قوما تناطبهم
الآمال فى إصلاح هذه الأمة ، ويرجى منهم النهوض بما حملهم الله
من أمانة حين جعلهم حلة هذه الشريعة

عدت إلى « الرسالة » أمدى قوماً يحسبون صيحاتهم
صيحات عليهم ، فيثقل عليهم نصحى إذا نصحت ، ويحفظ
صدورهم تقدي إذا نقدت ، وتهيم بهم الظنون فى أمرى إذا
سكت ، وتنطلق الوشاة فى من حولهم كما تنطلق الصلال الرقطاء
فى الرمال البيضاء ، ينفثون سمومهم ، وينشرون شكوكهم ،
ويقولون : هذا شاب مغرور بنفسه ، متطفل على ما ليس من
شأنه . ليس هذا بكاتب يصور قلبه ما يشعر به قلبه ، وإنما هو فتى
يردد ما يسمع أو يعلم ما يقول . ليس هذا بناصح أمين ، وإنما
هو عدو مبين ... قالت سوء يرجف بها المرجفون ، ويمكر بها
للاكرهون حتى لتطيش منها أحلام ما عهدناها أن تطيش ، وننقر

في نفوسهم جميعاً : سرت في نفوس الشباب الأزهرى كما نسرى الحياة في الأزاهر الناشئة ، وسرت إلى نفوس الشيوخ كما يسرى الماء إلى الجذوع التمتشة ، بل سرت إلى الرؤساء المسؤولين الذين يلون الناصب الكبرى في المعاهد والكتليات ، فأصبح هؤلاء جميعاً مؤمنين بها ، متلاقين عندها ، متناسين كل شئ من خلافاتهم في سبيلها !

ولست أقول هذا الكلام جزافاً ، أو توسعاً في الآمال ، فإن له لشواهد حاضرة ، وآثاراً بادية ، ربما تناولتها في مقالتي الآتية تباعاً . وحسبى اليوم أن أقول للذين كانوا يظنون أن دعوة الإصلاح صرخة في واد ، أو نفخة في رماد ، وللذين كانوا يؤثرون اطراد الأمور على أى نسق كان ابتغاء الراحة والهدوء ، ثم للذين بذروا البذر ولم يتمهدوه حتى ينبت :

إن الإصلاح لا يعرف الرجوع ، ولا يعرف الركود . إنه كشملة من نار يخففها الخافضون فتأبى إلا ارتفاعاً . إن قوة الإيمان لا تغلب ولا يقاومها إلا مخذول . وإلى اللقاء في حديث بعد هذا الحديث . محمد محمد الحنفى

كانوا يتحدثون عن ذلك كله ، وكانوا يتحدثون عن غيره مما لست أذكر الآن ، وكانت « الرسالة » سجلاً واعياً لهذه الأحاديث ، ولساناً ناطقاً بهذه الآمال ، بل كان البرلمان بمجلسيه يتحدث عن بعض ذلك ، ويتقدم أعضاؤه فيه بالأسئلة والاستجابات ، وترسل لجانه إلى مشيخة الأزهر بملاحظات على التعليم ومستواه ، وعن « الأمثلة البادية العوار » التي لا يبنى أن تبقى ماثلة تتأذى بها العيون ... الخ . الخ .

كان ذلك كله في الأعوام الماضية ، وكان أصحاب الرأى والنظر البعيد يمدونه بداءة طيبة للدعوة إلى نهوض الأزهر ، فإن الأزهر إذا سمع الناس يتحدثون عنه ، ورأى الناس يهتمون به ، ووجد بعض أبنائه والمخلصين له يشاركون في هذه الأحاديث ، ويلفتونه إلى هذا الاهتمام ، لم يلبث أن يفكر في أمره كما يفكر الناس فيه ، ويومئذ تجد دعوة الإصلاح من النفوس قبولاً ، ومن الآذان إصغاء ، فيتعاون على نجاحها الداعون والدعويون على سواء .

وقد بدت في هذا العام تبشير تلك الخطوة الثانية في سبيل النهوض ، وانتقلت أحاديث الإصلاح من ميدان « الرسالة » إلى ميدان آخر هو ميدان الرؤساء والعلماء والطلاب من أبناء الأزهر المخلصين : شعروا بأن الأزهر في حاجة إلى تكاتف المهتم ، وتناصر المرائم ، ورأوا تيار العلم في الجامعات الحديثة يوشك أن يكسح الأزهر اكتساحاً ، وعلموا أن الأمة قد تنبعت إلى ما تفعله كل طائفة من أبنائها ، وأن الدولة قد أصبحت حريصة على أن تجعل دور العلم للعلم فقط ، وأن الأزهر حين انحرف عن طريقه العلمى وانغمس في الحركات ، وسخر في سبيل الأهواء والزناجات ، غض ذلك من مهابته ، وجراً الأصدقاء قبل الأعداء عليه ، وأزال صيانه الذى كان يبنى أن يبقى له . علم أبناء الأزهر المخلصون ذلك كله ، وعلموا أن عليهم واجباً لمهدم العظيم ألا يقفوا منه موقفاً سلبياً ، والعيون ترمقهم ، والألسنة تتحدث عنهم ، والأصابع تشير إليهم ، ففقدوا العزم على أن يجعلوا من أنفسهم جنوداً للإصلاح ، وخداماً لمخلصين للأزهر حتى ينهض نهضته ، ويسترد في العالم الإسلامى مكانته ، ويعود إليه سابق مجده ! عقدوا العزم على أن يخلصوا للأزهر أكثر من إخلاصهم للأشخاص ، ووطنوا أنفسهم على أن يكونوا صرخاء في الجهر بالعلم ، أتمواء في المطالبة بالملاحة ؛ وسرت هذه النزعة الجديدة

يعرض حالياً

بلازى نوأورا ميراده ابراهيم باشا تليفون ٤٩٣٥٦

استعراض (الدنيا شايلها طور)

تأليف الأستاذ أبو السعود الأيبارى

تلحين الأستاذ عزت الجاهلى

إخراج وتمثيل

ملكة لاستعراض المسرحى

السيرة مريم مصابنى

كل يوم أحد حفلة نهائية الساعة ٧ مساء

ويومياً حفلة ليلية الساعة ٩ ونصف مساء